



<https://ui.ac.ir/en>

Journal of Research in Arabic Language

E-ISSN: 2322-4649

Document Type: Research Paper

Vol. 14, Issue 1, No.26, Spring & Summer, 2022

Received: 30/12/2019 Accepted: 20/05/2020

Outburst of a Questioning Style in the Novel ‘The Second War of the Dog’ by Ibrahim Nasrallah (An Aesthetic Review)

Faramarz Mirzaei *

*Corresponding Author: Professor of Arabic Language and Literature, Tarbiat Modares University, Tehran, Iran
f_mirzaei@modares.ac.ir

Eisa Mottaghi Zadeh

Assistant Professor of Arabic Language and Literature, Tarbiat Modares University, Tehran, Iran

Ahmad Arefi

MA Student of Arabic Language and Literature, Tarbiat Modares University, Tehran, Iran

Abstract

In his narrative text entitled “The Second War of the Dog”, the Palestinian novelist, Ibrahim Nasrallah, has reviewed the Palestinian people’s hardships in an imaginative way and used language forces to reveal those hardships. The text of this novel deserves syntactic and rhetorical analyses due to the aesthetic revelation of its questioning style, which, together with its varied types, accounts for the most important questioning styles utilized for arousing the audience's emotions, improving aesthetics of the text, further impressing the audience, and strengthening the meanings in their minds. Therefore, men of letters have constantly wanted to employ this style in their literary works because of its wider range of inferred virtual meanings compared to other styles. Using a descriptive-analytical method based on statistical stylistics, this study sought to reveal the hidden rhetorical meanings of its questioning style and assess the extent of fit between its question tools and three levels of language, i.e., storytelling, description, and dialogue, as well as expressing the most important aesthetic aspects of this style for conveying meaning to the audience. One of the major results of this research was that the narrator had often employed a questioning style at the level of dialogue since the characters of the novel often used to dispute for being surprised by the existence of similarities and doubts and not being able to distinguish between them and reach the truth. This style was found to be mostly used for conveying the two meanings of negation and denial since they so well fit with the pessimism atmosphere prevailing in the novel as they could reveal the political, economic, and cultural opportunism of the novel's characters depicting a new generation that worked only for its own interests, regardless of the public interest of Palestine.

Keywords: aesthetics, interrogation style, Ibrahim Nasrallah, The Second War of the Dog.

References

- Al-Awsi, Q. I. (1988). Seeking Styles of Syntaxes and Rhetoricians. Ministry of Higher Education and Scientific Research. Baghdad: Beit Al-Hikma.
- Al-Homsi, M. T. (2003). From Basic to Semantic (Research on the Sentence and Its Elements). Damascus: Dar Saad Al-Din.
- Al-Jum'a, H. (2005). Aesthetics of News and Essay (Rhetorical Review and Critical Aesthetics). Damascus: Al-Kitab Al-Arabi.
- Al-Mana'a, F. A. (2013). Qarineh wa Ma'ani (Research on Arabic Syntactic Styles). Lebanon: Zafaf.

- Al-Maraghi, A. M. (1993). *Rhetorical Sciences (Expression, Meanings, Novelty)*. Third Edition, Beirut: Dar Al-Kitab Al-Alami.
- Al-Samarai, F. S. (2000). *The Meanings of Syntax*. Oman: Dar Al-Fikr.
- Atiyah, M. A. (2007). *Syntactic Styles (Width and Adaptation)*. First edition, Oman: Dar Al-Manahij.
- Basoni, A. F. (2015). *Semantics (Rhetorical and Critical Study of Semantic Issues)*. Cairo: Mukhtar Institute.
- Eid, N. (n.d). *Question Style in the Hadiths of the Prophet: The Gardens of the Virtuous, Common Rhetorical Syntax Research*. Master's Thesis, University of the Birth of Sharp Architecture, Yanshehiyyah, Verses and Languages, a Collection of Arabic Verses.
- Fazeli, M. (1986). *A Study of Important Rhetorical Issues*. Tehran: Institute of Cultural Studies and Research.
- Hamada, H. (2009). *Aesthetics and Literature, Islands*. *Journal of Arabic Language and Literature*, 1(1).
- Ibn Hashem Al-Ansari, J. (1964). *The Needless of the Wise from Syntactic Books*. Damascus: Dar Al-Fikr.
- Khezri, A., Belavi, R., Pourabed, M., & Behrooz, Z. (2018). *The Style of Interrogation and its Impact on the Samy Al-Qāsim's Poetry of Resistance 'Persona Non Grata'*. *Research Journal of Arabic Language and Literature (University of Isfahan)*, 10(18), 21-34.
- Morshid, A. (2005). *Structure and Semantics in the Novels of Ibrahim Nasrallah*. Beirut: Arab Institute.
- Nasrullah, B. (2016). *The Second Dog War*. Beirut: Darul Uloom Publication.
- Sakban, S. K. (n.d). *Questioning Style in Ashi Poetry (Rhetorical Research)*. *Wasit Journal of Humanities*, 22.
- Shamli, N., & Hassan Alian, W. (2012). *Stylistic Research in Surah (PBUH)*. *Horizons of Islamic Civilization, Academy of Humanities and Cultural Research*, 14(1).

فورة أسلوب الاستفهام في رواية حرب الكلب الثانية لإبراهيم نصر الله دراسة جمالية^١

فرامرز ميرزائي *

عيسى متقى زاده **

احمد عارفي ***

الملخص

إن إبراهيم نصر الله، الروائي الفلسطيني، في روايته المسماة بحرب الكلب الثانية، يعالج الصعوبات التي يعاني منها الشعب الفلسطيني بأسلوب فانتازي مستفيدا من الطاقات اللغوية. إذن، يجدر نص هذه الرواية بالتحليل النحوي والبلاغي للكشف عن جمالية استخدام أسلوب الاستفهام الذي يعد بأنواعه المختلفة من أهم الأساليب الإنشائية المستخدمة في تحريك عواطف المخاطب، وإضفاء الجمالية على النص، والتأثير الأكثر في نفس المخاطب، لتمكين المعنى في ذهنه. لقد رغب الأدباء في استخدام هذا الأسلوب في أعمالهم الأدبية؛ لكونه ذا معنى مجازي أوسع من الأساليب الأخرى. يهدف هذا المقال إلى الكشف عن الأغراض البلاغية الكامنة في أسلوب الاستفهام وفقا للمنهج الوصفي - التحليلي، معتمدا على الأسلوبية الإحصائية ليجيب عن مدى التناسق بين أدوات الاستفهام ومستويات اللغة الروائية الثلاثة: السردية، والوصفية والحوارية، وإبراز أهم ما في هذا الأسلوب من جمالية لإفادة المعنى إلى المتلقي. وأهم ما وصل إليه هذا المقال أن الراوي استخدم أسلوب الاستفهام في الغالب في مستوى الحوار؛ لأن الشخصيات الروائية تتجادل لوقوعها في حيرة ناتجة عن وجود الأشباه والشبهات والشك في الوصول إلى الحقيقة والتمييز بين الأصل وهذه الشبهات، ثم أكثر من استخدام هذا الأسلوب في غرضي النفي والإنكار؛ لأنهما يتناسبان والفضاء الروائي المتشائم الذي يسود الرواية ليظهر الانتهازية السياسية والاقتصادية والثقافية لشخصيات روائية تمثل جيلا جديدا لا يعملون إلا لتحقيق مصالحهم الخاصة دون مصالح المجتمع الفلسطيني العامة.

الكلمات المفتاحية: الجمالية، أسلوب الاستفهام، إبراهيم نصر الله، حرب الكلب الثانية

١- تاريخ التسلم: ١٣٩٨/١٠/٩ هـ.ش؛ تاريخ القبول: ١٣٩٩/٢/٣١ هـ.ش.

Email: f_mirzaei@modares.ac.ir

* أستاذ في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة تربيت مدرس، طهران، إيران (الكاتب المسؤول)

Email: motaghizadeh@modares.ac.ir

** أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة تربيت مدرس، طهران، إيران

Email: ahmad.ac73@gmail.com

*** طالب الماجستير في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة تربيت مدرس، طهران، إيران

Copyright©2022, University of Isfahan. This is an Open Access article distributed under the terms of the Creative Commons Attribution License (<http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0>), which permits others to download this work and share it with others as long as they credit it, but they cannot change it in any way or use it commercially

<http://10.22108/RALL.2020.120836.1256>

١. المقدمة

رواية حرب الكلب الثانية لإبراهيم نصر الله، الروائي الفلسطيني الشهير، رواية سياسية يستخدم الراوي فيها أسلوب الاستفهام في أكثر الأحيان بلغة متلائمة مع الحوار والسرد، دون الوصف لإضفاء الجمالية على النص الروائي. فهو من الأساليب التي كثر استعماله بعد أسلوب النفي في هذه الرواية يلعب دوراً جوهرياً فيها، خاصة في مستوى الحوار الروائي، حيث التخاطب يجري بين الشخصيات الروائية؛ لأن هذا الأسلوب ليس أسلوباً سردياً تقريرياً مملاً، «فالمتكلم والمخاطب فيه يبدلان موضعهما، فيصبح المتكلم مخاطباً والمخاطب متكلماً. فكلّ منهما يحسّ بالالتزام أمام هذا الأسلوب ... وإنّ المتكلم يستطيع أن يعتبر بأسلوب الاستفهام عما يريد بالاختصار ... وأيضاً أنّ المتكلم يجعل المخاطب مشاركاً له فيه، ويدعوه إلى التأمل والإجابة، فيسندّ عليه طريق الإنكار ابتداءً» (فاضلي، ١٣٦٥ هـ.ش، ص ١١٨).

يهدف هذا المقال إلى الكشف عن الأغراض التي يستخدمها الراوي في روايته من خلال استخدامه لأدوات الاستفهام، للتعبير عن معاناة الشعب الفلسطيني المضطهد، وفقاً للمنهج الوصفي - التحليلي، مستمداً من الأسلوبية الإحصائية.

١-١. أسئلة البحث

يهدف هذا البحث إلى الإجابة عن السؤالين، ليبين لنا مدى استخدام الروائي أسلوب الاستفهام لانعكاس قضية فلسطين وهموم شعبه المضطهد:

- ما دلالات استخدام أسلوب الاستفهام؟

- كيف تلائم أسلوب الاستفهام لمستويات اللغة الثلاثة في هذه الرواية؟

٢-١. خلفية البحث

قد أجريت عدة دراسات مرتبطة بمحاور المقالة الرئيسة؛ فمن أهمّها: كتاب الأساليب النحوية، عرض وتطبيق، لمحسن علي عطية (٢٠٠٧ م). تناول الباحث في القسم الأول الأساليب النحوية ذات الجملة الإنشائية وأنواعها؛ وفي القسم الثاني الأساليب النحوية ذات الجملة الخبرية وأنواعها، ثم شرحهما بالتفصيل. وعدّ الأساليب النحوية ١٢ أسلوباً، فدرج ستة منها ضمن الجملة الإنشائية، وستة منها ضمن الجملة الخبرية.

وكتاب أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، لقيس إسماعيل الأوسي (١٩٨٢ م). فشرح الكاتب في الفصل الأول النحو وعلم المعاني وعلماء النحو والبلاغة، مثل: سيبويه، والمبرد، وابن جني، وأحمد بن فارس، وعبد القاهر الجرجاني، والزمخشري، والسكاكي، وعلم المعاني بين النحو والبلاغة؛ وفي الفصل الثاني تطرق إلى أسلوب الأمر ودلالاته؛ وتناول في الفصول الأخرى الأساليب النحوية، وأدواتها ودلالاتها وخروجها عن معناها الأصلي.

وكتاب من نحو المباني إلى نحو المعاني: بحث في الجملة وأركانها، لمحمد طاهر الحمصي (٢٠٠٣ م). هذا الكتاب من الكتب القيمة التي أفادنا كثيراً. فقد حاول الباحث أن يخرج النحو من جفافه إلى رونق المعاني النحوية، ليكشف الدلالات النحوية ضمن دراسته الجملة وأركانها.

وكذلك كتاب جمالية الخبر والإنشاء: دراسة بلاغية جمالية نقدية، لحسين جمعة (٢٠٠٥ م). يهدف المؤلف إلى تقديم درس بلاغي جمالي نقدي من نمط جديد لأساليب البلاغة العربية، معتمداً على الشرح والتحليل وإدراك العناصر الجمالية بكل أبعادها ... مستفيداً من فضاءات الدراسات القديمة كلها إعجازية أو نقدية أو أدبية أو لغوية ... «ومن ثم، فإننا نفتح أعيننا على إبداع الآخر مما استجد في الشرق والغرب؛ لأننا نعتقد بأنه المنهج المفيد لدراستنا ... وحينما تمسكنا بأصول أساليب البلاغة لم

نقع في مطب التباهي والتفاخر ... ولما امتد فكرنا إلى كل حديث لم نُصَبْ بالدهشة والاستلاب؛ ومن ثم التبعية ... فقد أدركنا في الحالين أن الثقافة موزعة بين خلق الله جميعاً، وأن العرب يملكون من أساليب الكلام الجميل والرشيق ما لا يملكه غيرهم ... وهو إرث فني مخزن في الذات والفكر واللغة والأدب والبلاغة ... بل في الحياة كافة» (جمعة، ٢٠٠٥م، ص ١٢).

وكتاب *البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله*، لمرشد أحمد (٢٠٠٥م). لقد بحث الباحث فيه عن جدل العلاقة بين الشكل (البنية) والمضمون (الحكاية) من أجل إنتاج الدلالة. وقد اختار فيه ثلاث بنيات، وهي: الشخصية، والزمان، والمكان؛ لأنها تشكل وحدة موضوعية بنائية. فيختلف هذا الكتاب عن بحثنا هذا بعدم تطرقه إلى الأساليب النحوية.

ومقالة *جمالية بنية الأساليب النحوية في قصّة "النمور في اليوم العاشر" لذكرى تامر*، لعيسى متقى زاده والآخرين (١٣٩٦هـ.ش). تناولت المقالة الأساليب النحوية بصورة عامة، واختلاف المعاني النحوية والبلاغية في استخدام هذه الأساليب والفرق بين طرائق التعبير من الناحية السردية بصورة خاصة، فلم تتعرض لجمالية هذه الأساليب فنية في مستويات السرد الثلاثة؛ ذلك لأن الدراسة تشتمل على قصة قصيرة تتطلب مثل هذه الدراسات العامة؛ وأما دراستنا هذه فتشمل رواية طويلة، لتبحث فيها عن أسلوب واحد من بين هذه الأساليب لتلقي الضوء عليه جمالياً في مستويات السرد الثلاثة.

ومقالة *أسلوب الاستفهام وتأثيره في شعر سميح القاسم المقاوم: ديوان "شخص غير مرغوب فيه" نموذجاً*، لعلى خضري والآخرين (١٣٩٧هـ.ش). قد قام الباحثون بدراسة أسلوب الاستفهام، وأدواته ودلالاته في شعر سميح القاسم وتأثيره فيه. ومن أهم النتائج التي وصل إليها الباحثون أن «الاستفهام من أكثر الأساليب الانشائية استخداماً في ديوان "شخص غير مرغوب فيه"، وغرض الشاعر من كثرة استخدام الاستفهام هو التفات المتلقي إلى الأفكار التي تعبّر عن قضية المقاومة وهموم الشعب الفلسطيني وطموحاته. وإنّ الشاعر استعمل أدوات الاستفهام في معناها الحقيقي والبلاغي، بحيث يغلب المعنى المجازي في الاستفهام خاصة الأغراض البلاغية، كالنفي والنهي والتعجب على المعنى الحقيقي لانعكاس قضية فلسطين والمصاعب التي يتحملها الشعب الفلسطيني؛ فحاول الشاعر أن يستخدم هذا الأسلوب من أجل انعكاس قضية فلسطين (١٣٩٧هـ.ش، ص ٣٣).

ومقالة *أنماط الشخصية في رواية "تحت شمس الضحى" لإبراهيم نصر الله*، لسيد مهدي مسبوق وعلى حسين غلامى يلغون آقاج (١٣٩٥هـ.ش). قد قامت المقالة بتحليل الشخصية، ووصف أبعادها الجسمانية والنفسانية معتمدة على المنهج الوصفي - التحليلي. فالفرق بين هذا البحث ودراستنا هذه واضح.

رغم كثرة دراسات الباحثين حول أعمال إبراهيم نصر الله، ولكنهم لم يهتموا بدراسة جمالية لأسلوب الاستفهام وملائمته لمستويات اللغة السردية الثلاثة؛ فمن هنا على حد ما علمنا، يمكن القول: إنّ هذا المقال هو أول بحث يتطرق إلى دراسة جمالية أسلوب الاستفهام في هذه الرواية دراسة دلالية بلاغية لاستجلاء المعاني البلاغية مع ملائمتها لمستويات اللغة الثلاثة بتتبع المنهج الوصفي - التحليلي معتمداً على الأسلوبية الإحصائية.

٢. جمالية أسلوب الاستفهام

إن الجمال هو توافر التناسق والترابط والانسجام بين أجزاء شيء ما. «فالوجه الإنساني يكون جميلاً عندما تكون أعضاؤه كلّها منسجمة بينها ومتناسبة في الحجم والمساحة بين الحاجب والعين والأنف والفم والشفتان والأذنان، واللون، فلا يتضخم عضو

على حساب عضو آخر، كذلك القصيدة الشعرية تكون جميلة، عندما تبدو عناصرها متناسقة ومتراصة فيما بينها، ويحتل كل منها الحيز نفسه من أرضية القصيدة، ويحظى كل منها بنصيب واحد من عناية الشاعر» (مصطفى وعلي، ٢٠١٥م، ص ٢١).

ظهر علم الجمال في العصر الحديث سنة ١٧٥٠م على يد بومجارتن^١، بيد دراسة التذوق والمسائل المرتبطة به، ثم أضيفت إليه مباحث متعلقة بالإبداع الفني. وهو في نوعه الأدبي يتناول الظاهرة الأدبية بعناصرها الأساسية الأربعة التي يتكوّن الأدب منها، وهي العاطفة والمعنى والأسلوب والخيال؛ يبحث أولاً في كيفية تكونها في نفس الأديب، وهذه الخطوة الأولى تقوم على أساس التحليل النفسي، لفهم شخصية المبدع، وكيف تتم عملية الإبداع الأدبي، وهي دراسة معمقة ومعقدة قد نجح فيها في أوروبا إلى حد ما، فرويد وتلاميذه (مدرسة التحليل النفسي) (حمادة، ٢٠٠٩م، ص ١٨٣ - ١٩٦). فـ«يتجلى لنا أن الجمال في النص الأدبي هو مجموعة السمات والخصائص التي يحويها النص الأدبي ويتميز بها عن غيره من مزايا تعبيرية، والجمال ينسحب على الشكل والمضمون معاً، حيث يكون النص الأدبي قادراً على إثارة انفعالات وعواطف المتلقين، فيحقق المتعة لديهم واللذة» (مجاهد، ٢٠١٥م، ص ٣٢).

نستنتج أن الجمالية تتجلى في تناسب بين المفردات من جهة، ومعانيها ودلالاتها من جهة أخرى، لتجعلها في أحسن صورة ذات دلالات متعددة. فتمثل الجمالية في الرواية في إيقاعها الروائي، أي في كونها ذات دلالات متعددة يتناسب فيها الأداء اللغوي مع مكوناتها الأساسية لتواصل معانيها وأغراضها ومقاصدها - حسب ما يقتضيه المقام - إلى المتلقي.

ففي رواية حرب الكلب الثانية لإبراهيم نصر الله، يلعب هذا الإيقاع الروائي دوراً أساسياً ليشمل كل المسوغات التعبيرية، بحيث تمتلئ نصوصها الأدبية بدلالات بلاغية حافية تشير إلى القيم الإنسانية الأخلاقية والاجتماعية، وتؤثر في إحساس المتلقي وفكرته عميقاً؛ لأن الجمالية تساعد الأديب في إبداع معان بلاغية خاصة وإيصال المعاني والأغراض الرمزية الكامنة في الألفاظ إلى المتلقي بصورة أبلغ وأحسن.

أما الأسلوب فهو طريقة الأديب الخاصة للتعبير عن أغراضه من الكلام، فيشتهر بهذه الطريقة الخاصة المعبرة عن الأغراض. ولهذا الأسلوب المستخدم عند الأديب آليات ووسائل كثيرة التداول على الألسن دائماً لإرسال الكلام إلى المتلقي. وتتجلى أهميته في كونه ذا أثر كبير في وضوح المعنى أو غموضه. وإنّ جمالية الأسلوب النحوي هي توظيف الأديب الأساليب النحوية في نظم نحوي خاص للتعبير عن أغراضه والإتيان بألفاظ متناسقة مع معان مقصودة منها في انتظام وحسن ترتيب للألفاظ ليعطيها النص جمالا وروعة حتى يؤثر على المتلقي تأثيراً عميقاً، فيحثه على القراءة والتلذذ بها بكل شوق؛ لأنّ الجمال هو جوهر النص الأدبي وركنه الرئيس، وهو الذي يجعل النص الأدبي عملاً أدبياً رائعاً متميزاً عن غيره من النصوص.

و«الاستفهام أسلوب نحوي، بلاغي، والمراد منه حقيقة طلب الفهم» (ابن هشام، ١٩٦٤م، ص ٥). وهذا الفهم هو «في حد ذاته صورة ذهنية متعلقة بشخص ما، أو بشيء ما، أو بحكم من الأحكام على جهة اليقين أو الشك» (جمعة، ٢٠٠٥م، ص ٩١). وهذا لا يخرج عن معنى «طلب الفهم المتأني من الصورة الذهنية لشخص ما فضلاً عن أنه طلب فهم شيء مجهول لم يكن المتكلم على دراية به، ولهذا فهو طلب فهم شيء لم يتقدم لك علم به، بأداة من أدواته» (المراغي، ١٩٩٣م، ص ٦٤)؛ يعني أن المتكلم ليس متردداً أو منكراً، بل يكون خالي الذهن عما يستفهم عنه. وهذا الأسلوب النحوي يتداخل مع الأسلوب البلاغي، بيد «أنّ التناول النحوي مقصوراً على الموضوع النحوي؛ أمّا التناول البلاغي فيسعى إلى استكناه الدلالة القابعة خلف الأسلوب

الاستفهامي - بمعنى آخر - فهو يخفض الدلالة المجازية التي تتنوع حسب المقصدية وطبيعة السياق التي أتت فيه» (صكبان، ٢٠١٣م، ص ٣٨٦).

ولعل سمة تميز هذا الأسلوب عن غيره «أن يكون صادرا ممن لا يعلم إلى من يعلم أو إلى من يتوقع أنه يعلم، أمّا إن كان المستفهم على علم بما يستفهم عنه، فإن الاستفهام سينحرف عن أصل معناه إلى معنى جديد، وهو ما يعرف عند البلاغيين بالمجاز البلاغي؛ فمن هذه السمة يقسم البلاغيون الاستفهام إلى قسمين: ١- الاستفهام الحقيقي، وهو طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل بأداة خاصة؛ [فلذا يحتاج الاستفهام إلى الجواب عن المتلقي]؛ ٢- الاستفهام المجازي، وهو الذي لا يقصد به السؤال عن أمر وطلب الجواب عنه» (المناع، ٢٠١٣م، ص ٢١٤ - ٢١٥).

فجمالية أسلوب الاستفهام تتجلى في التوظيف المتناسق لأسلوبه، وأدواته في النص من جهة، ومن جهة أخرى في المعاني الثانوية الكامنة فيه، والتي يريد الأديب استخدامها في النص للتأثير الأكثر على القارئ.

١-٢. الاستفهام بين النحويين والبلاغيين

لم يعتن النحويون بدراسة الاستفهام في باب يشمل كل أدواته والأحكام النحوية المتعلقة بها. فغاية جهدهم تنصب على "الهمزة"، و"هل" ووجوه استعمالهما وفروقهما؛ وأمّا بقية أدوات الاستفهام فكانوا يعرضون لها في سياق موضوعات أخرى غير الاستفهام. ولكن البلاغيين بحثوا عن الاستفهام في باب مستقل، فقاموا بتفصيل القول في معناه وفي أدواته وتعمّقوا فيها أشدّ تعمقا من النحويين في كشف أسرارهِ ولطائفهِ البلاغية، ففي الواقع بحثهم مكملًا للبحوث النحاة حوله (الحمصي، ٢٠٠٣م، ص ٢٩٧ - ٢٩٨).

٢-٢. أدوات الاستفهام ومعانيها

ينفي أسلوب الاستفهام الرتبة عن النص؛ لأنه يعد شكلا من أشكال التنوع في الأساليب والانتقال من الخبر إلى الإنشاء، كما أنه يدفع المخاطبين إلى التفكير والتأمل (شاملي وحسنعليان، ١٤٣٢هـ، ص ٧٦). ولا يخامرنا الظن أن الاستفهام هو طلب الفهم بشيء لم يكن معلوما ساعة الطلب (صكبان، ٢٠١٣م، ص ٣٨٦). «والشيء المطلوب، علمه نوعان: ١- النسبة بين الشئين، ويسمى العلم بها تصديقا؛ ٢- أحد طرفي النسبة، وهما: المسند والمسند إليه، أو أحد متعلقاتهما، كالمفعول، والحال، والظرف، ونحوها، ويسمى إدراك أحدهما تصورا. فالتصديق هو إدراك النسبة بين الشئين ثبوتا أو نفيا، والتصوّر هو إدراك المسند أو المسند إليه أو أحد المتعلقات» (الحمصي، ٢٠٠٣م، ص ٢٩٧).

وللإستفهام أدوات محدّدة يعرف بها، وهي: "الهمزة"، و"هل"، و"من"، و"ما"، و"متى"، و"أين"، و"أى"، و"كم"، و"كيف"، و"أي". ومن بينها "الهمزة"، و"هل" حرفا الإستفهام، والباقي كلّها اسم. وتنقسم هذه الأدوات وفقا للتصور والتصديق على ثلاثة أقسام: «١- ما يطلب به التصور تارة والتصديق تارة أخرى، وهو "الهمزة"؛ ٢- ما يطلب به التصديق فقط، وهو "هل"؛ ٣- ما يطلب به التصور فقط، وهو بقية أدوات الإستفهام. ف"من" لتصوّر العاقل، و"ما" لتصوّر غير العاقل، و"متى" و"أين" لتصوّر الزمان، و"أين" و"أى" لتصوّر المكان، و"كم" لتصوّر العدد، و"كيف" لتصوّر الحال، و"أي" لتصوّر ما يطلب بالأدوات السابقة، فقد تأتي لتصوّر العاقل أو غير العاقل، أو الزمان، أو المكان، أو الحال...» (المصدر نفسه، ص ٢٩٧).

وقد تغني النغمة الإستفهامية عن أداة الإستفهام، فتحذف الأداة ويبقى معنى الإستفهام، وهذا ما يختص بهمزة الإستفهام؛ لأنه يجوز حذفها (ابن هشام، ١٩٦٤م، ج ١، ص ٨). ولا يجوز حذف الأدوات في الأسلوب الإستفهامي إلّا أداة "الهمزة"؛ ولهذا

الحذف دلالة جمالية، خاصة في الرواية (عطية، ٢٠٠٧م، ص ٢٤)؛ لأن الراوي يحاول الإضفاء شيئاً من الواقع على روايته، خاصة في الحوار بين الشخصيات، وهذا ما أشرنا إليه في التحليل الجمالي لأساليب الاستفهام، بالنبر الاستفهامي في الكلام الروائي. يعدّ أسلوب الاستفهام بوصفه نوعاً من الأنماط الأسلوبية والإنشائية التي كثر استخدامه في أعمال كل أديب لكونه ذا معنى جمالي وأغراض متنوعة؛ فلهذا أكثر أساليب الإنشائية والطلبية تداولاً وعناية، حيث تكمن أهميته «في الدور الذي يؤديه في عملية التواصل بين البشر ووظيفته التبليغية والحجاجية، وإذا كان معلوماً أنّ التواصل لا يتم إلا إستناداً إلى التخاطب، فإن الاستفهام أبرز أدوات هذا التخاطب؛ لأنه يجسّد دورة التخاطب حيث يتوافر على مرسل ومرسل إليه ورسالة» (عيدة، ٢٠١٢م، ص ٢٣)، فتحمل لطائف وأسراراً بلاغية متنوعة. فهذا الأسلوب أوسع الأساليب الإنشائية استعمالاً وجمالية وأكثرها أداة وأصل أدواتها وأشهرها "الهمزة"، حيث يرى النحاة أنها أمّ الباب، كما تكون "إن" أمّ باب الشرط؛ ويرى أكثرهم أنّها وحدها الأداة الأصلية في الاستفهام، التي لا تستعمل في غيره (الأوسي، ١٩٨٨م، ص ٣١٩).

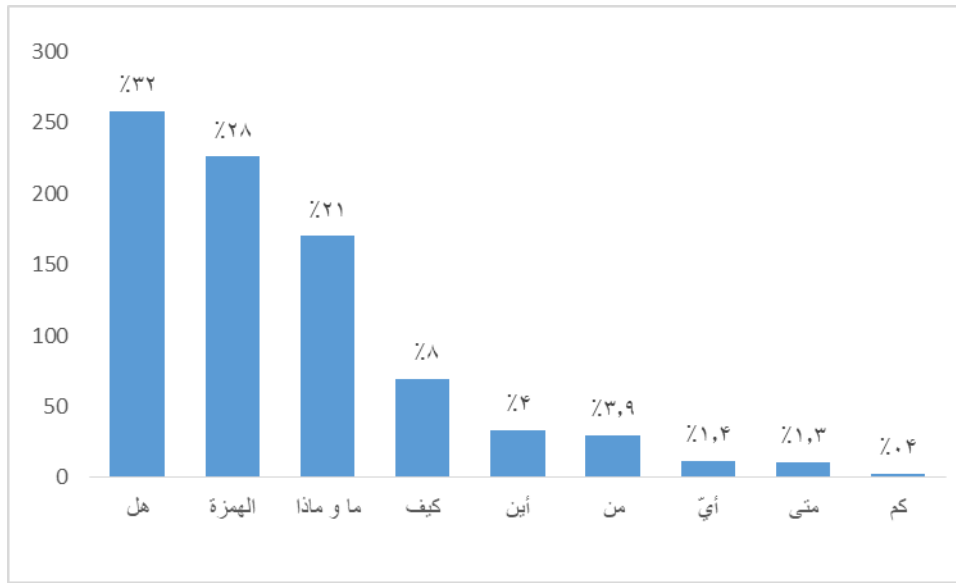
٣. إحصاء أساليب الاستفهام وأدواتها في رواية حرب الكلب الثانية

استخدم الراوي في هذه الرواية أسلوب الاستفهام في المستويات الروائية. فأكثر ما استخدم فيه هو المستوى الحوارية؛ لأن الحوار محل التخاطب والاستفهام جزء هام منه. والملفت للنظر أن الراوي لم يستخدم هذا الأسلوب في المستوى الوصفي؛ لأن الوصف خبري تقرييري، فلا يناسب الاستفهام الذي يكون جزءاً من الجملة الإنشائية. والجدول التالي يبين مدى استخدام الراوي لأسلوب الاستفهام، حسب أدواتها، في رواية حرب الكلب الثانية:

أدوات الاستفهام	نوع المستوى	عدد الأدوات	مجموع الإحصاء
هل	السرد	٣ مرّات	٢٥٨ مرّة
	الحوار	٢٥٥ مرّة	
الهمزة	السرد	٢ مرّة	٢٢٦ مرّة
	الحوار	٢٢٤ مرّة	
ما و ماذا	السرد	٦ مرّات	١٧٠ مرّة
	الحوار	١٦٤ مرّة	
كيف	السرد	١٢ مرّة	٦٩ مرّة
	الحوار	٥٧ مرّة	
أين	السرد	٢ مرّة	٣٣ مرّة
	الحوار	٣١ مرّة	
من	السرد	١ مرّة	٣٠ مرّة
	الحوار	٢٩ مرّة	
أنتي	السرد	٠	١٢ مرّة
	الحوار	١٢ مرّة	
متي	السرد	٠	١١ مرّة
	الحوار	١١ مرّة	
كم	السرد	٠	٣ مرّات
	الحوار	٣ مرّات	
جمع الكل			٨١٢ مرّة

عدد كل أدوات الاستفهام		عدد ما في مستويات اللغة الثلاثة
٨١٢	السرد	٢٦ مرة
	الوصف	*
	الحوار	٧٨٦ مرة

الرسم البياني التالي يبين النسبة المئوية لأسلوب الاستفهام، حسب أدواتها، في رواية حرب الكلب الثانية:



٤. التحليل الجمالي لأسلوب الاستفهام في رواية حرب الكلب الثانية

رواية حرب الكلب الثانية تروي قصة ثوري سياسي يضحى بكل ما لديه في سبيل أهدافه النبيلة؛ ولثبات عقيدته وصموده أمام تعذيبات النظام، يدعى بالرجل الحديدي، ولكنه - عبر الزمن - انقلب من ثوري نبيل إلى أشد مؤيدي النظام الذي عذّبه، بل أصبح من صناع القرار فيه؛ والسبب في انقلابه إلى انتهازي سياسي ومتطرف فاسد، يرجع إلى فساد المجتمع والواقع وتحولاتهما التي تناولها إبراهيم نصر الله في روايته هذه، بأسلوب فانتازي، من خلال رصد تحولات "راشد" الشخصية الرئيسة للرواية بين موقعين مختلفين، ليلقي الضوء على النزعة الانتهازية البعيدة عن القيم النبيلة.

إن المسألة الرئيسة للرواية تدور حول أمر مثير جداً، وهي مسألة "الأشباه" أو "الشبيهات" التي تكثر يومياً بفضل التقنية الحديثة، وهذه مفاجأة غريبة مثيرة جداً؛ لأن شبيه كل شيء يكثر في الرواية، حيث يصبح من الصعب التمييز بين أصل الأشياء وشبهاتها، رغم الفروق الكثيرة في ماهيتهما. فما الحرب الثانية إلا بين الشبيه والمشبه فيه. تبدأ ظاهرة الأشباه حين يجمل طبيب أخصائي سكرتيرة راشد بأمر منه، حتى تشبه زوجته "سلام"، حينئذ ينتشر الأشباه في البلاد، كوباء معدٍ بدون معرفة الأسباب، فيتشابه راشد مع الراصد الجوي، حيث لا يميزه أولاده عن راشد، فيحسبونه أباهم، فتُخلَق الأشباه بالرؤية أو اللمس، فيكثر انتشاره وتقع الحرب بين الأشباه، ويتم اعتقال راشد وتعذيبه من جديد.

ففي موقف صعب في فصل "مفاجآت أخرى"، يسود موقف الشبيهة على الفصل، أي يشبه الراصد الجوي راشد بطل الرواية، حتى يكاد يؤدي براشد إلى الجنون؛ لأن الراصد الجوي كان يقلده في كل شيء، في مشيته، وطريقة كلامه، واشترائه لسيارة شبيهة بسيارته في اللون والطرز حتى أصيب راشد بالجنون لأجل هذا التقليد.

فدفع هذا راشد إلى مراقبة شبيهته الراصد الجوي. فكلما ذهب الراصد الجوي تابعه راشد، فعندما ذهب راشد إلى السوق، تبعاً للراصد الجوي، انتبه إلى أن كل شيء يشبه بعضه البعض تماماً، حيث لا يستطيع التفريق بينه أحد، إلى درجة أن يرتبك راشد عندما نظر إلى أكوام الخضر والفواكه، ففهم البائع ارتبأك، فقال له:

- لا ترتبك يا سيد راشد ... أنت لا تستطيع التفريق بين الخيار والكوسا، ولا بين الطماطم والتفاح، ولا بين البطاطا والجوافة، أليس كذلك؟ هزّ راشد رأسه، مؤكداً ما يقوله البائع.

- مشكلتنا يا سيد راشد أن الفواكه باتت تشبه بعضها بعضاً إلى حد كبير، وأخشى أن يأتي يوم تصبح فيه متشابهة تماماً، بحيث لا نعود قادرين على معرفة البرتقال من الخيار، والموز من العنب.

- هل تعتقد أن التشابه يمكن أن يتطور إلى هذا الحد؟

- سيد راشد، عليك أن تسير عشر خطوات، لا أكثر، وتنظر داخل المحل الذي يبيع الطيور، ستري العجب حقاً هناك.

- ما الذي تعنيه؟

- لقد باتت الطيور تشبه بعضها بعضاً، لقد تفوّقت على الخضر والفواكه والحمضيات وغير الحمضيات في ذلك! إنها في طريقها؛ لأن تصبح نوعاً واحداً. ولكن أكثر ما يخيفني هو كيف غدت الأرانب تشبه الكلاب، بدل أن تشبه القطط! (٢٠١٦م، ص ١٦٧ - ١٦٨).

فيسود أمر الأشباه، الموقف الحوارية تماماً بين راشد والبائع ليظهر مشهد التشابه مستخدماً أدوات الاستفهام لإظهار التعجب والحيرة. فهذا الشبه التام بين أصل شيء وشبيهه أو بين أشياء مختلفة تثير الشكوك وتدفع الشخصيات الروائية إلى الشك في فهم الواقع، مما يؤدي إلى كثرة الاستفهام، إما لفهم الواقع حقاً، يعني الاستفهام الحقيقي، وإما لبيان الإنكار أو النفي أو التعجب أو التعجيز أو الأغراض الاستفهامية الأخرى.

فمفاجأة الأشباه تؤدي إلى استفهام أكثر فأكثر وشجار وعراك بين الشبيهين. ففي موقف أكثر غرابة، ارتدى الراصد الجوي قميصاً أسود وبنطالاً أبيض شبيهة بلون قميص راشد وبنطاله تماماً، مع اختلاف بسيط، فقد ارتدى الراصد الجوي الأسود كلون فوق، والأبيض كلون تحتي، ليكون شبيهة براشد، ففكر راشد أن الراصد الجوي يسخر منه بهذا الشكل، فيحدث عراك بينهما. فغضب راشد، وهجم على الراصد الجوي، وضربه بعنف شديد. وفجأة يظهر الناس، محاولين فض الاشتباك، باحثين عن سبب الاشتباك. فأشار الراوي إلى هذا الحادث المهيّب:

- هل يريد أن تقول لي: لم تعد توجد أي علامة فارقة بيننا غير هذا الاختلاف؟ ...

- ما الذي يحدث؟ سأل أحد الأشخاص.

- ألا ترى؟! إنه يسخر مني، أجاب راشد.

- كيف يسخر منك؟! هل قال شيئاً ما أغضبك؟

- لا، لم يقل، ولكن انظر إليه، ستدرك ما أقول.

...-

- أنت أعمى؟ ألا ترى؟ وأشار إلى ملابس شبيهه الملقى على الأرض.

- لم أفهم أيضا.

- ألا ترى؟ إنه يعكسني، ليسخر مني (المصدر نفسه، ص ٢٩٨).

فعندما فهم المتسائل ماذا يقصد راشد؟ صرخ على الراصد الجوي:

- كيف تفعل أمرا قبيحا كهذا؟ لا يعقل! هل تريد أن تثبت أنك ضدنا؟ أنك مختلف عنا؟

- ولكنني خرجت من البيت دون أن أراه، رأيته بعد أن دفعني وسقطت، فكيف سأسخر منه؟

- أنت رجل لا تخجل فعلا، صاح الرجل ذو القميص الأحمر الذي ظهر في الشرفة، ألا يكفي أنك حاولت صدم

سيارته؟ ألم تكتف بذلك؟» (المصدر نفسه، ص ٢٩٩).

فساد الموقف الحوارى الاستفهامى بين الشخصيات الروائية مستخدما "هل"، و"ما"، و"أ"، و"كيف" الاستفهامية في المعنى الحقيقي في عبارة "هل يريد أن تقول لي: لم تعد توجد أي علامة فارقة بيننا غير هذا الاختلاف؟"، و"ما الذي يحدث؟ سأل أحد الأشخاص؟" وفي المعاني المجازية، نحو: التعجب في عبارة "- ألا ترى؟! إنه يسخر مني، أجاب راشد"، و"- كيف يسخر منك؟!، و"- أنت أعمى؟ ألا ترى؟"، و"ألا ترى؟"، و"كيف تفعل أمرا قبيحا كهذا؟"، والنفي في: "كيف سأسخر منه؟"، والأمر أو التوبيخ في: "ألا يكفي أنك حاولت صدم سيارته؟ ألم تكتف بذلك؟".

هذا الموقف الاستفهامى الرهيب في الحوار الذى دار بين شخصيات الرواية، حدث نتيجة التشابه الحاكم في الرواية أو ما سماه الراوى مفاجأة الأشباه. ثم تجد أن الراوى استخدم أداتي "هل"، و"أ" ١٤ مرة من أصل عشرين أدوات الاستفهام المستخدمة في هذا المقطع! فلماذا لجأ الراوى إلى استخدام هذا الكم الهائل من هاتين الأداتين دون سائر الأدوات الاستفهامية؟

يبدو أن هذا الموقف الاستفهامى الناتج في الشك بين الواقع والزائف أو بين الأصل والشبيهة جعل الراوى يستخدم أداتي "هل"، و"أ" أكثر بكثير بالنسبة إلى سائر أدوات الاستفهام. فتشير الإحصائية الآتية الذكر، أن هاتين الأداتين استخدمتا ٦٠% بالنسبة إلى الأدوات الأخرى، في هذه الرواية. هذه النسبة المئوية الهائلة تدل على أن موقف الشك والحيرة ساد على المستوى الحوارى بين الشخصيات الروائية؛ لأن هذه الشخصيات في شك وريبة في تصديق الواقع، وكلتا الأداتين تستخدمان في الاستفهام عن تصديق النسبة القائمة بين طرفي الإسناد؛ وهذا ما يناسب أولا الريبة الحاكمة في التمييز بين الأصل والشبيهة؛ وثانيا يوافق الفضاء المتشائم الناتج عن ذلك؛ لأجل ذا تكررت الجملة الاستفهامية "ألا ترى؟" كثيرة في المقطع الآنف الذكر للدلالة على صعوبة تصديق الواقع، كأنّ المستفهم يجد أن المخاطب في شك مما يرى، فيؤبّخه على عدم تصديقه الواقع بأسلوب استفهامى مستعمل في المعنى المجازي.

لقد استعان الراوى بأسلوب الاستفهام في المعاني الأصلية له، وهو طلب الفهم بشيء غير معلوم والمعاني المجازية التي تصفى على الاستفهام جمالية أكثر. فاستخدم هذا الأسلوب في كثير من الأحيان في المعنى المجازي، من أهمها: النفي وشبه النفي (النهي)، والأمر، والإنكار، والتوبيخ، والاستبعاد، والتعجب، والتقريب، والتهديد، لتناسب التشائم السائد على الرواية. ففي فصل "أسير الأمل وأسير اليأس"، يشير الراوى إلى عبقرية راشد، بطل الرواية، في ازدياد إيرادات المستشفى ومالكي سيارات الإسعاف، واصفا قدرته في إقناع الآخرين، يقول: «نصائح عمليات التجميل السهلة الباهرة والمضمونة النتائج، كانت متكررة

أيضا، وكذلك جملته الأثيرة للواحدة منهن: كيف يمكنك اللحاق بصبيّة منطلقة بسرعة خمس وعشرين سنة في الثانية وأنت لا تعتنين بمظهرك؟» (المصدر نفسه، ص ٦٩).

استخدم الروائي أسلوب الاستفهام في غير معناه الأصلي ليقنع المخاطبة أنها لا تتمكن من السيطرة على من تريد إلا باعتنائها بمظهرها؛ فقد استخدمه في معنى النفي في مستوى الحوار، ليقنع المخاطبة على قبول عملية التجميل حتى يحصل على كثير من المال. فهذا يشير إلى انتهازية راشد الذي يعمل للحصول على مصالح نفسه فقط. وفي موقف آخر في فصل "ساعة اللقاء"، دار حوار بين راشد وزوجته متبادلي الأسئلة:

- سأسافر اليوم؟

- اليوم! لم لم تقل لي ليلة أمس؟

- قلت في نفسي لتكن مفاجأة؛ لأنك ستسافرين معي وتعودين معي.

- لم أفهم، والأولاد من يعتني بهم؟!

- أنت، من يمكنه الاعتناء بهم مثلك؟

فهمت، الآن فهمت، وضحكت. ألهذا التقطت لي الصورة، لأكون معك؟! (المصدر نفسه، ص ٩٨ - ٩٩).

إن أسلوب الاستفهام ساد الموقف الحوارى تماما ليبين مدى التعجب وإقناع كل من المتحاورين. فاستخدم الاستفهام في عبارة: "من يمكنه الاعتناء بهم مثلك؟"، ليفهم الزوجة أنه يقدر قيمتها، لأنها الوحيدة التي تعتني بأولادهما لجعلها مسرورة. وفي حوار راشد مع سكرتيرته تكرر موقف تبادل الأسئلة:

«- هل يمكنني أن أسأل ما الذى نفعله هنا؟

....

- هل ما زلت تحتفظين بالصورة؟

- بالطبع، كيف يمكن أن أفعل غير ذلك؟» (المصدر نفسه، ص ١٠٠).

الاستفهام في الأول يدل دلالة واضحة على الاستغراب ونوع من التوبيخ اللطيف!، وفي الثاني على التعجب، وفي الثالث على النفي الصريح ليفيد الحصر لبيان العلاقة الودية، أي لا يمكن أن أفعل غير ذلك. وفي موقف عجيب، حيث فاز راشد بتقنية حديثة للاختفاء أمام أعين الناس، فتبادل الأسئلة بينه وبين عشيقته السكرتيرة:

- ... باستطاعتك أن تقبليني ... لن يراك أحد.

فوجئت بما قاله ...: هل تعني فعلا ما تقوله ؟ ... فكيف يمكن أن يخدمك النادل؟

... هل أنت متأكد من أنهم لا يروننا؟ وفي مقعد الطائرة سألتها: هل يروننا هنا؟

- لا، قلت لك.

- صحيح؟! لأنني أرغب في أن أقبلك مرة أخرى.

- لم لا تفعلينها إذا؟ (المصدر نفسه، ص ١٠٠ - ١٠١).

فأسلوب الاستفهام في هذا الحوار ينبئ عن موقف النفي الصريح، إلا الاستفهام الأخير، فإنه للتحريض وبمعنى الأمر؛ لأن سكرتيرة لا تصدق وجود هذه التقنية الحديثة. فأراد الراوى فضلا عن إشراك المخاطبة في هذا الأمر، أي رفض الواقع ونفيه لهذه الحادثة العجيبة والغريبة، إشراك القارئ أيضا في هذا الأمر. سرّ هذا النفي بالاستفهام «من الجهة الأولى ليس نفيا محضاً، بل

استفهام، أو شرط أشرب معنى النفي، فقد يكون مع النفي تعجب أو استنكار، أو غير ذلك من المعاني، كقوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ (الرحمن ٥٥: ٦٠)، فكان المخاطب مدعوًا لأن يجيب، وسيكون جوابه: "لا، ما جزاء الإحسان إلا الإحسان"، بطريقة الاستفهام؛ فإن المقصود منها إشراك المخاطب في الأمر، فهو يريد الجواب منه؛ لأن في الاستفهام تحريكا للفكر، وتنبهها للعقل، وحثًا على النظر والتأمل...، وهذا هو الفرق بين النفي الصريح والنفي عن طريق الاستفهام. أمّا فإذا قال: "ما جزاء الإحسان إلا الإحسان"، كان هذا إخبارا عن المتكلم. فالنفي ابتداء يفيد أنّ المتكلم يقول الأمر من نفسه، وأمّا في الاستفهام، فإنّه يدع ذلك للمخاطب ليقوله» (السامرائي، ١٤٢٠هـ، ج ٤، ص ٢٤٣ - ٢٤٤؛ فيود، ٢٠١٥م، ص ٤٠٥).

في موقف أكثر غرابة حين يكثر "الأشبه"، فترى "سلام"، زوجة راشد، شبيهتها وتجادلها في حوار مستخدم فيه أسلوب الاستفهام لغير معناه الأصلي، يقول:

تحولت عيون كل من في المقهى إليهما وسط ذهول الناس بمدى تطابقهما.

...

- هل تتبعيني؟ سألتها سلام، وأضافت، بعد كل ما فعلت، كيف تتجرتين وتتبعيني؟

- أنا؟ إنني أحاول التخلص منك منذ شهرين دون جدوى، ألا يكفيك أنني تركت عملي بسببك وتركت البيت وتركت المدينة؟ كم مرة عليّ أن أختفي فعلا، ولتختفي أنتِ إلى الأبد؟ ألا يكفيك تلك المصيبة التي أوقعتني فيها حين اتُهمتُ بجريمة قتل أنتِ ارتكبتها؟

تجمدت سلام، كأن صوت الشبيهة صوته: أنا؟! ... (٢٠١٦م، ص ١٨٨).

تظهر فورة الاستفهام في هذا الحوار الذي وقع في فصل "القاتلة"، لتبين مدى صعوبة الموقف السلبي الذي أوقع الشخصيات الروائية وشبهاتها في مهلكة لا مفر منها. فلا يصح هذا الموقف السلبي، استخدم الراوي الأدوات الاستفهامية كـ "هل"، و"كيف"، و"أ"، و"كم"، و"النبر الاستفهامي" في مثل "أنا؟"، للنهي والتعجب والتوبيخ والنفي والتقرير والإنكار. فلا يتمكن الراوي من حوار ممتع إلا باستخدام أسلوب الاستفهام استخداما جماليا متناسبا مع الموقف السلبي في الرواية، ويريد الإشارة إلى الاشتباك الذي أحدثته الجريمة التي تظهر كنادلة في مطعم الرياح الأربع.

هذا الفضاء الاستفهامي مهيم على المقاطع المختلفة للرواية خاصة فيما يتعلق بتكثير الأشبه في مقطع "القفزة الثالثة من بعد الظهر". فراشد، بطل الرواية الانتهازي، يرى شبيهه "الراصد الجوي"، فيجد أن ابنته الصغيرة يلتبس عليها التمييز بينه كإبيه وبين الراصد الجوي الشبيه له ويخاف عليها وعلى نفسه معا من وجود هذه الشبيهة:

حين انطفأت عاصفة السعال، سأل راشد ابنته الصغيرة:

- منذ متى تخلطين بيني وبين الراصد الجوي؟ وشجعها مضيفا: كل الناس ترتكب هذا الخطأ هذه الأيام فلا تخافي.

- هذه هي المرة الثانية فقط، قالت الصغيرة.

- ماذا؟ هل يمكن أن ترتكب ابنة مثل هذا الخطأ؟ صرخت سلام في وجهها. فالتفت راشد إلى زوجته وقال بهدوء أذهلها: البنت صغيرة يا سلام!

- أنت الذي تقول ذلك؟ كأنك لست أباهما وانقضت على ابنتها ... وهي تصيح: كيف تركتيني خطأ كهذا، ألا تعرفين أباك؟» (المصدر نفسه، ص ٢٦٩).

في هذا حوار روائي بين عائلة راشد، أي راشد، وسلام، وراشد الصغير، وسلام الصغيرة، تستمر الأسئلة:
- أي خطأ ذلك الذي ارتكبه يا أبي؟ ... هل ستسامح أختنا؟ أم أنك لا تريد أن تنسى ما حصل؟ ... هل تسمعين ما يقوله أولادك؟ ...

- ما الذي يحدث في هذه العائلة؟

- ماذا قالت لك؟ ... همست في أذنه: ما رأيك أن أقتله أنا؟! ... أليس كذلك؟ (المصدر نفسه، ص ٢٦٩ - ٢٧٠).

فأسلوب الاستفهام يسود على هذا الحوار العائلي ليبين الموقف الصعب والحيرة القاتلة التي تلف العائلة؛ لأن شبيهي راشد وسلام أصبحتا توقعان العائلة في مهلكة مخيفة لا نجاة فيها إلا بقتلهما، وكيف يمكن قتل الإنسان شبيهه؟! لأن الشبيهة أيضا تحس أنها هي الواقع والحق، والزائف هو الآخر ليس هو! موقف صعب غامض للغاية؛ لأجل ذا، يناسبه الاستفهام بمعنى طلب فهم الحقيقة ورفض الواقع، فنجد أن الراوي استخدم الاستفهام في معناه الأصلي، ثم التوبيخ والإنكار لرفض الواقع الذي يهemin على العائلة.

وظف الراوي الاستفهام في معنى التوبيخ كثيرا في الرواية ليشير إلى الفضاء الروائي المتشائم الحاكم على النص. ففي الفصل الثالث "المأساة ثانية"، يبدأ بحوار استفهامي بين راشد المقلق المتعب وزوجته سلام:

«- هل هنالك شيء؟ سأله

- لا، هل هنالك شيء؟ سألته

- لا» (المصدر نفسه، ص ١٨١).

يبدو الموقف رهيبا، فكل من راشد وزوجته يتبادلان نفس الاستفهام ونفس الجواب؛ لأنهما يشكان بعضهما البعض؛ لأن سكرتيرة راشد في المستشفى شبيهة بسلام زوجة راشد. وكان راشد يحاول إخفاءها وأن لا تلتقي سلام بها. ففي المستشفى، حين رأى راشد زوجته، خاف من نقشي سره، فصرخ مؤنبا: «ما الذي يجعلك تقفين في الخارج؟» (المصدر نفسه، ص ١٨٤).

لقد استعان الراوي بأسلوب الاستفهام بوصفه أسلوبا يكشف عن قيم جمالية كامنة في مفرداته المجازية في معنى التوبيخ لإبراز ما في الموقف من الدهشة والإنكار مستخدما الحوار كوسيلة لتصوير أهدافه بين راشد وبطل الرواية وزوجته سلام، ولكن المحاولة دون جدوى، فيفشي سره أمام زوجته وتلتقي سلام بشبيعتها في مكتب زوجها. وهذه هي المأساة التي كانت راشد يخاف من وقوعها.

وفي كثير من المواقف، استعان الراوي بأسلوب الاستفهام أو النبر الإستفهامي، أي النغمة الاستفهامية، في المعاني الحقيقية أو المجازية، خاصة في فصل "كعكة عيد ميلاد"، مشيرا إلى اشتراء راشد كعكة عيد ميلاده، عندما طلبت منه سلام اشتراءها، فحين ذهب لاشترائها، راقبه شبيهه الراصد الجوي، وبعد أخذ الكعكة من البائع، انتبه إلى سيارة تشبه سيارته، فسد له الطريق، فنزل السائق من السيارة، فإذا هو الراصد الجوي الذي كان راشد يقصد قتله، فهذه راشد قائلا:

«- أنت؟! صرخ راشد في وجهه، كيف تجرؤ على مواجهتي؟ كيف؟

- أعطني قالب الحلوى. قال الراصد الجوي! ...!

- ما دخلك أنت؟» (المصدر نفسه، ص ٢٧٧).

استخدم الراوي أسلوب الاستفهام ليسود المشهد الروائي، وذلك باستخدام "النبر الاستفهامي"، و"كيف"، و"ما" الاستفهاميتين في معنى التهديد، والتعجب، والنفي لتناسبها مع الفضاء الروائي العام الحاكم على الحوار. فيستمر أسلوب الاستفهام بأنواعه المختلفة في هذا المشهد حين لم يتمالك راشد أعصابه، فانقضَّ على الراصد الجوي، فانتَهز الأخير الفرصة ليتظلم مستنجداً برجال الأمن، ليوهم أنه هو الأصل وراشد هو الشبيه له! وادعى أن راشد سرق منه الكعكة، فبسرعة تقدّم رجلاً أمن، فأحاطا براشد وطلبا منه أن يستعيد الكعكة! فاشتد راشد غضباً و«ألقى راشد بها بقوة على الأرض: تريدها؟ خذها. قال للراصد الجوي. وبسرعة خاطفة وضع أحد رجلي الأمن القيد في يد راشد اليمنى قائلا: «- شبيهه فهمنا! ولكن كيف يصل بك الغباء أمام أعيننا، ومن أجل ما ذا؟ الكعكة؟» (المصدر نفسه، ص ٢٨٨).

فلاستفهام يعني معنى الاستهزاء المر من قبل راشد في النبر الاستفهامي أو بنغمة استفهامية في "تريدها؟!"، والتحقير في "من أجل ماذا؟ الكعكة؟"؛ فيواصل الراوي استخدامه الأسلوب الاستفهامي في هذا الفصل، حين يذهب رجل أمن براشد إلى زنزانة بمنطقة أسرى الأمل، فالجمل الاستفهامية تسود المشهد الروائي بكثافة:

- ماذا تقول؟ ... / هل قامت الحرب؟ سأل أحد الأسرى / هل انتهت الحرب؟ سأل آخر / هل سقط دكتاتور؟ سأل آخر ... /

- عليك أن تذهب فوراً وتخبر الضابط أنني هنا؟

- إنه يتغابي، هل سمعت؟ إنه يتغابي، قال الشرير.

- هل أنت بحاجة لشيء ما؟ ...

- تطمئنهم على ماذا؟ تطمئنهم أنك لن تخرج من هنا أبداً؟ صرخ الشرير.

....

- هل قامت الحرب؟ سأل أحد الأسرى / هل انتهت الحرب؟ سأل آخر / هل سقط دكتاتور؟ سأل آخر ... /

... كيف تمت الأمور؟ ...

- ألم يكن علينا أن نضربه قليلاً؟ ...

- هل سألتما عما يريد؟ سأل الضابط ...

- ما رأيك أن نحضرها له؟ (المصدر نفسه، ص ٢٧٩ - ٢٨١).

تبرز فورة الاستفهام في الحوار الذي وقع في فصل "كعكة عيد الميلاد"، لتبين مدى الموقف السلبي الذي أوقع الشخصيات الروائية في مهلكة لا مفر منها. فلإيضاح هذا الموقف السلبي، استخدم الراوي الأدوات الاستفهامية: كـ"هل"، و"أ"، و"كيف"، و"ما" والنبر الاستفهامي أكثر من مرة للتقرير والأمر والاستهزاء والتحقير والتعجب والاستفهام الحقيقي إن استخدام الاستفهام في هذا الفصل متناسب تماماً مع ما يحدث من التقاء راشد، بطل الرواية بشيئيه، حين يلتبس الأمر على رجال الأمن ويتوهمون أن راشد هو الشبيه والراصد الجوي هو الأصل! موقف يحار فيه القارئ.

في فصل "عاصفة الهواجس"، حين غاب راشد عن الأنظار، وغادر البلاد، فأساء الضابط - وهو أخو زوجة راشد - الظن به، خوفاً منه أن يعود إلى سنوات تهوره الأولى، فاتصل به هاتفياً ولما لم يتلق منه جواباً، اتصل بمكتبه، فأجابه صوت غليظ في حوار يسود الموقف الاستفهامي عليه:

فسأله باستطاعته أن يتكلم مع راشد، فردّ كأنه يلاكمه: غير موجود.

- متى سيعود؟

- إنه مسافر؟

- هل يمكنني التحدث مع سكرتيرته؟

- إنها غير موجود.

- متى ستعود؟

- إنها في إجازة.

- معه؟

- لا ليست معه، قلت لك إنه مسافر وهي في إجازة، فكيف يمكن أن تكون المجازة مع المسافر؟! (المصدر نفسه،

ص ١٠٧-١٠٨).

كثر استخدام الأسلوب الاستفهامي بأدوات "متى"، و"هل"، و"الهمزة" في المعنى الأصلي لطلب الفهم بشيء غير معلوم، و"كيف" في معنى التعجب والاستبعاد متناسبا مع الفضاء الحاكم على النص بين الضابط ومخاطبه، فقد استعملها في معنى الاستبعاد والتعجب، رغم أن المخاطب يدرك تماما أنه بإمكان المجازة أن تصاحب المسافر ولا مانع لها بالاجتماع به.

الخاتمة

توصلت المقالة إلى ما يلي:

- استخدم الراوي في رواية حرب الكلب الثانية، أسلوب الاستفهام في المعنى الحقيقي أو المجازي ٨١٢ مرة، للدلالة على كثرة السؤال والجواب بين المتكلم والمخاطب، وأكثر من استخدامه في مستوى الحوار؛ لأن الشخصيات الروائية تتجادل لإقناع بعضها البعض، وهن في حيرة من مفاجأة الأشباه أو الشبيهات التي كثر وجودها في الرواية للدلالة على التباس الحقيقة بالزائف.

- كثر استخدام أداتي "هل" ٢٥٨ مرة مما يعادل ٣٢%، و"أ" ٢٢٦ مرة مما يعادل ٢٨%، بالنسبة لأدوات الاستفهام الأخرى؛ لأنهما تستخدمان لطلب تصديق الواقع الذي يشبه الواقع المزيّف؛ والسبب في ذلك أن مفاجأة الأشباه والشبيهات جعلت النسبة القائمة بين الحقيقة وما يحدث، غامضة ومبهمة، فهذا ما يشير تساؤلات كثيرة حول الواقع وتصديقه. إذن كثرة استخدام هاتين الأداتين تتناسب والفضاء الشاؤمي الناتج من حضور الشبيهات في الرواية.

- استخدم أسلوب الاستفهام لغرضي النفي والإنكار، مصحوبين بالتعجب والتوبيخ، أكثر من سائر الأغراض؛ لأنهما يتناسبان مع الفضاء الروائي المتشائم الذي يسود الرواية ليظهر انتهازية الشخصيات الروائية، خاصة بطل الرواية راشد الذي يعمل لمصالح نفسه فقط.

- تحمل "هل"، و"الهمزة"، و"كيف" جماليات المعاني البلاغية أكثر من الأدوات الأخرى، حيث خرجت أداة "الهمزة" في الغالب إلى معنى التعجب، وخرجت أداة "هل" في الغالب إلى معنى النفي والأمر، وخرجت أداة "كيف" في الغالب إلى معنى النفي والاستبعاد، تناسبا مع الفضاء الروائي.

- يبدو أن غرض الراوي من كثرة استخدام أسلوب الاستفهام هو التفات القارئ إلى الواقع المرزاً للساحة الفلسطينية التي تسود فيها الانتهازية ويكثر فيها الانتهازيون وشبهاتهم. هذه مفاجأة تثير تساؤلات كثيرة حول الأسباب التي حوّلت رجلاً ثورياً كراشد، بطل الرواية، إلى رجل انتهازى يستغل كل الفرص لجمع الأموال وتحقيق مصالحه الخاصة.



المصادر والمراجع

- ابن هشام الأنصاري، جمال الدين عبد الله. (١٩٦٤م). *مغني اللبيب عن كتب الأعاريب*. تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله. دمشق: دار الفكر.
- الأوسي، قيس إسماعيل. (١٩٨٨م). *أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين*. بغداد: بيت الحكمة.
- جمعة، حسين. (٢٠٠٥م). *جمالية الخبر والإنشاء: دراسة بلاغية جمالية نقدية*. دمشق: اتحاد الكتاب العربي.
- حمادة، حمزة. (٢٠٠٩م). «علم الجمال والأدب». *مجلة علوم اللغة العربية وآدابها*. س ١. ع ١. ص ١٨٣ - ٢٠٤.
- الحمصي، محمد طاهر. (٢٠٠٣م). *من نحو المباني إلى نحو المعاني: بحث في الجملة وأركانها*. دمشق: دار سعد الدين.
- خضري، علي؛ وآخرون. (١٣٩٧هـ.ش). «أسلوب الاستفهام وتأثيره في شعر سميح القاسم المقاوم: ديوان "شخص غير مرغوب فيه" نموذجاً». *بحوث في اللغة العربية*. ع ١٨. ص ٢ - ١٤.
- السامرائي، فاضل صالح. (٢٠٠٠م). *معاني النحو*. عمان: دار الفكر.
- شاملي، نصر الله؛ وسميه حسنعليان. (١٤٣٢هـ). «دراسة أسلوبية في سورة (ص)». *آفاق الحضارة الإسلامية*. س ١٤. ع ١. ص ٦١ - ٨٤.
- صكبان، صالح كاظم. (٢٠١٣م). «أسلوب الاستفهام في شعر الأعشى: دراسة بلاغية». *واسط للعلوم الإنسانية*. ع ٢٢. ص ٣٨٦ - ٤١٧.
- عطية، محسن علي. (٢٠٠٧م). *الأساليب النحوية: عرض وتطبيق*. عمان: دار المناهج.
- عيدة، ناغش. (٢٠١٢م). *أسلوب الاستفهام في الأحاديث النبوية: في رياض الصالحين، دراسة نحوية بلاغية تداولية*. رسالة الماجستير. جامعة مولود معمري تيزي وزو. كلية الآداب واللغات.
- فاضلي، محمد. (١٣٦٥هـ.ش). *دراسة ونقد في مسائل بلاغية هامة*. تهران: مؤسسه مطالعات و تحقيقات فرهنگي.
- فيود، بسيوني، عبد الفتاح. (٢٠١٥م). *علم المعاني: دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني*. القاهرة: مؤسسة المختار للنشر والتوزيع.
- متقى زاده، عيسى؛ وفرامرز ميرزائي؛ ويعقوب علي آقاعليپور. (١٣٩٦هـ.ش). «جمالية بنية الأساليب النحوية في قصة "النمر في اليوم العاشر" لـ زكريا تامر». *الجمعية الإيرانية للغة العربية وآدابها*. ص ٢١ - ٤٢.
- مجاهد، تامي. (٢٠١٥م). *جمالية النص النثري في نهج البلاغة*. أطروحة الدكتوراه. جامعة وهران. كلية الآداب واللغات والفنون.
- المراغي، أحمد بن مصطفى. (١٩٩٣م). *علوم البلاغة: البيان، المعاني، البديع*. ط ٣. بيروت: دار الكتب العلمية.
- مرشد، أحمد. (٢٠٠٥م). *البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله*. بيروت: المؤسسة العربية.
- مسبوق، مهدي؛ وعلى حسين غلامى يلغون آقاج. (١٣٩٥هـ.ش). «أنماط الشخصية في رواية "تحت شمس الضحى" لإبراهيم نصر الله». *دراسات الأدب المعاصر*. ع ٣٢. ص ١٠١ - ١٢٣.
- مصطفى، فائق؛ وعبد الرضا علي. (٢٠١٥م). *في النقد الأدبي الحديث: منطلقات وتطبيقات*. الموصل: دار الأيام.
- المنّاع، فيصل عرفات. (٢٠١٣م). *السياق والمعنى: دراسة في أساليب النحو العربي*. بيروت: ضفاف.

نصر الله، إبراهيم. (٢٠١٦م). حرب الكلب الثانية. بيروت: دار العلوم ناشرون.